خطبة جمعة

بعنوان/

﴿فضل رمضان وخصائصه واغتنامه والاستعداد له﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

مطلق الجاسر

- حفظه الله -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: ١].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلق خلقه، وفضَّل بعضهم على بعض، فقد خلق البشر وفضَّل بعضهم على بعض فاختص بعضهم بالرسالة، وخلق الأرض وفضَّل بعضها على بعض فاختص منها مكة والمدينة، وميزها عن سائر الأراضي.

وخلق الزمان واختص بعض الشهور بفضائل عن بعض، وميَّز بعضها وفضَّله، ومن ذلك ما نحن مقبلون عليه بمشيئة الله تعالى من شهر رمضان المبارك، هذا الشهر الذي ميَّزه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، واختصه بخصائص عديدة، يفرح المسلم بقدومه، ويبتهج المؤمن إذا حلَّ عليه.

لماذا يفرح المؤمنون بمقدم هذا الشهر العظيم؛ لما أودعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيه من الخصائص والفضائل، فمن الفضائل التي امتن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها على هذا الشهر؛ أن جعله ظرفًا لركنٍ من أركان الإسلام، فأركان الإسلام الخمسة:

الشهادتين، والصلاة، والزكاة والصوم، والحج.

واحد منها وهو الصوم اختص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به هذا الشهر من بين سائر الشهور، وهذه مكرمةٌ عظيمة، كذلك مما اختص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به هذا الشهر أن جعله ظرفًا أيضًا لنزول القرآن لعظيم.

قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فذكر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لهذا الشهر هذه الميزة وهذه المكرُمة العظيمة.وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ١ - ٥].

وهذه هي الخصيصة الثالثة ليلة القدر إحدى ليالي هذا الشهر العظيم هي أعظم ليالي السنة، وهي أفضل ليلة في السنة، قد خصَّها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بسورةٍ كاملةٍ في كتابه العظيم سمَّاها باسم هذه الليلة، سورة القدر، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١، ٢]، سؤال يدل على عِظم مكانتها، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٢، ٣]، هذه الليلة الواحدة فضَّلها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على ألف شهر، ما يزيد على ثلاث وثمانين سنة.

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٣ - ٥]، كذلك مما اختص الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ به هذا الشهر العظيم، أن صفَّد فيه الشياطين، فقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«إذا كان أول ليلة من رمضان صفِّدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب الجحيم فلم يُفتح منها باب، وفُتِّحت أبواب الجنة فلم يُغلق منها باب»**.

وجاء أيضًا هذا المعنى في أحاديث أخرى، **«صُفِّدت فيه الشياطين، غُلِّقت فيه أبواب الجحيم، فُتِّحت فيه أبواب الجنة»**، وهذا يُفسِر ما نراه من إقبال المسلمين في هذا الشهر على عبادة الله وعلى الصيام، فتجد الواحد ربما يثْقل عليه الصوم طيلة السنة؛ لكنه يخف عليه في هذا الشهر، وتجد الناس لا يُصلون في المساجد طيلة السنة وتجد المساجد بحمد الله تمتلئ بالمصلين في رمضان، لأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد أعانهم على شياطينهم، قد صفَّد عنهم الشياطين، فإن قال قائل: لكننا مع ذلك نرى بعض المعاصي ونرى بعض المُحرمات تُفعل في رمضان، كيف وقد غُلِّقت أبواب الجحيم وصُفِّدت الشياطين؟

الجواب عن ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن المعاصي التي يفعلها الناس ليست كلها بسبب الشياطين، فإن بعض الناس لا يحتاج إلى شيطان لخُبث نفسه، وسوء طويته فهو شيطانٌ إنسي يفعل المعصية بدون وسوسة، فهذا ماذا ينفعه تصفيد الشياطين.

الوجه الثاني: أن الذي يُصفَّد في رمضان مردَةُ الشياطين أي رؤوس الشياطين وكُبراؤهم، ومردتهم ولكن يبقى أيضًا من الشياطين صغارهم مما يؤثرون على ضعاف النفوس.

إذًا رمضان فرصة لمن أراد العودة إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، فرصة لمن كبلته المعاصي والآثام ويرغب في العودة إلى الله، هذا الشهر من أعظم الفرص لأنه ما الذي يحول بينك وبين العودة إلى الله؟ ما الذي يحول بينك وبين التقوى؟

ثلاثة أمور:

⇦ أولا: نفسك الأمارة بالسوء.

⇦ ثانيًا: شياطين الجن الذين يوسوسون لك في فعل المعاصي.

⇦ ثالثًا: شياطين الإنس الذين يقودونك إلى المعاصي ويحثونك عليها ويُزينونها لك.

في رمضان أعانك الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى على هذه الثلاثة:

⇦ فأعانك على نفسك بأن فرض عليك الصوم، والصوم كما تعلمون يُهذب النفس ويكسر شهوتها ويقلل رغبتها في الملذات.

⇦ وأعانك على شياطين الإنس فجعلهم يصومون مثلك، وجعل بيئة رمضان وجو رمضان جو عبادة.

⇦ وأعانك على شياطين الجن فكبلهم وصفَّدهم وصفَّد مردَتهُم، فلم يبقى عليك إلا اليسير إذا أردت فعلًا أن تكون متقيًا لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

رمضان فرصةٌ لهذا، لذلك قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، رزقنا الله وإياكم التقوى بارك الله لي ولكم في

القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(الخطبة الثانية)

الحمد لله.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد:

شياطين الإنس والجن الذين تُكبل أيديهم في هذا الشهر العظيم؛ نلاحظهم يُكثفون نشاطاتهم قبل هذا الشهر ليبثوا سمومهم فيه، ليُلهوا الناس في هذا الشهر العظيم عن عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الناس في هذا الشهر تستغرب ما العلاقة بين شهر رمضان الذي هو شهر القرآن وشهر الصيام، وشهر القيام، وبين سائر البرامج الكثيرة التي تمتلئ مع الأسف الشديد بما حرَّم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لماذا ما العلاقة لماذا تتكثف جهودهم في هذا الشهر؟

أمرٌ غريب، وعليك أخي المسلم أن تكون فطنًا وأن تنتبه وكلنا قد جرَّب في السنوات السابقة، كيف أن هذا الشهر العظيم يمر مرورًا سريعًا، فما تكاد أن تدخل علينا أيامه إلا وتخر سريعًا، بل أصبح رمضان يأتي بعد رمضان سريعًا، فكأننا بالأمس نبارك لبعضنا بعيد الفطر، وها هو رمضان قد اقترب من أبوابنا، وهذه بحد ذاتها موعظةٌ عظيمة، هذه بحد ذاتها تسارع الأيام وجريانها بهذه السرعة الرهيبة، هي والله موعظة لمن انتبه وفطن لها، فكم رمضان مر علينا؟ وكم ممن كان في العام الماضي يصوم معنا رمضان هو اليوم تحت التراب لا يصوم معنا هذا الشهر.

ألا يجعلنا هذا ننتبه ونستيقظ، ونعرف حقًا ما المطلوب منا، ونعرف حقًا ما الذي ينفعنا؟ هذا أمرٌ مهمٌ، فرمضان فرصةٌ عظيمة لا تسمح لأي كائن أن يُضيعها عليك، واعلم أن رمضان أيضًا فرصةٌ عظيمة لمغفرة الذنوب، فقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا؛ غُفر له ما تقدم من ذنبه»**.

وقال أيضًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا؛ غُفر له ما تقدم من ذنبه»، «ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا؛ غُفر له ما تقدم من ذنبه»، وأيضًا من عظيم فضائل هذا الشهر الكريم أنك إذا صلَّيت خلف إمامك صلاة التراويح حتى تنقضي صلاة إمامك كُتب لك قيام ليلة كاملة.

فقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «من صلى مع إمامه أي التراويح حتى ينقضي كُتب له قيام ليلة» ، يُكتب لك قيام ليلة كاملة، إذًا لهذا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما روى الإمام ابن خُزيمة في صحيحه، وابن حبَّان وغيرهما عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: صعد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنبر فقال: "آمين" ثم صعد الدرجة الثانية فقال: "آمين"، ثم الثالثة فقال: "آمين"، فقالوا يا رسول الله سمعناك تقول آمين، آمين، آمين، فعلى ماذا تؤمن؟ فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أتاني جبريل آنفًا فقال لي: يا محمد رغم أنفُ امرئ ذكرت عنده فلم يُصلي عليك قل آمين، فقلت آمين»، صلى الله وسلم على نبينا محمد، «يا محمد رغم أنف امرئ أدرك أبويه أحدهما أو كلاهما ولم يُدخلاه الجنة قل آمين فلت آمين، ثم قال يا محمد رغم أنف امرئ أدرك رمضان ولم يُغفر له قل آمين فقلت آمين».

دعوة دعا بها سيد الملائكة، وأمن عليها سيد الأنبياء فما ظنكم بها؟ ما ظنكم بهذه الدعوة؟ رغم أنف امرئ أي أُلصغ بالرغام، والرغام هو التراب دلالة على تحقيره وإهانته، وذلك من ذكر عنده اسم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم تعاجز أن يُصلي عليه، و«من أدرك أبويه أحدهما أو كلاهما ولم يدخلاه الجنة»، وهذا دلالة على سهولة دخول الجنة لمن كان عنده والدين، «ورغم أنف امرئٍ أدرك رمضان ثم انقضى ولم يُغفر له».

هذا على ماذا يدل؟ هذا يدلُ على سهولة المغفرة في هذا الشهر، وأن الذي لا ينال المغفرة في هذا الشهر العظيم رجلٌ سيئٌ جدًّا استحق أن يُدعى عليه؛ لأنه ضيع كنزًا ثمينًا عظيمًا سهل المنال، فدعا عليه جبريل وأمَّن عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذًا المغفرة سهلة وهي في رمضان أسهل، فلنبادر ولنغتنم هذه الأيام نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعلنا وإياكم ممن يُدرك شهر رمضان المبارك، ويصومه إيمانًا واحتسابًا، ويقومه إيمانًا واحتسابً، وأن يجعلنا وإياكم ووالدينا من عُتقاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذا الشهر العظيم.

اللّٰهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبِّت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، اللّٰهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبًا إلا غفرته، ولا عيبًا إلا سترته، ولا همًّا إلا فرَّجته، ولا حاجة إلا قضيتها ويسرتها يا رب العالمين.

اللّٰهم فرِّج همَّ المهمومين، ونفِّس كرب المكروبين، واقضي الدين عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم موتانا وموتى المسلمين، اللّٰهم آمِنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ووفق للحق إمامنا وولي أمرنا، يا رب العالمين.

عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.